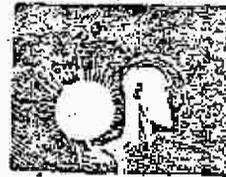




الوجدان

ميزة الانسان



لا أنتما ولا أنا



أحب أن أزور حديقة الحيوان بالمهيرة حيث أتأمل موكب التمورر . ولكني حين
 أنف أمام حيوان ما أجدني أتأمله لا لأعرفه هو ولكن لأعرف الانسان : لأعرف نفسي
 أنا في وجدان . أما هو في ذهول . أنا واجد تسمي في هذا الكون . أما هو فذاهل
 كأنه في حلم . ووجداني هو شيء فرق المراطف . فان الحيوان يغضب ويجوع ويشتهي
 ويخاف ويغاسر . وجميع هذه المراطف أحسها أنا أيضاً في الظروف التي تتطلبها . ولكني
 حين أحسها يزول عني وجداني بقدر إحساسي لها . فاذا كان إحساسي غامراً مطبقاً فليس
 هناك وجدان . وإذا كان صغيراً جزئياً فإني أجد نفسي .

أجدني إذا قضيت كثيراً هذيت بالشتم وقد أرفس بقدي بلا تعقل ، بلا وجدان ،
 كأني حيوان . لأن العاطفة تغمرني فاذا هدأت أي إذا خفت العاطفة ماد إلي وجداني .
 فأفكر وأتعقل .

ليس للحيوان إحساس تاريخي لأنه يعيش بعوائده . ولكني أنا أعيش في التاريخ .
 لي أمن وغد . ولي أبعاد زمنية أذكر القراعنة والرومان والرب قبل ألوف السنين .
 وأبعاد جغرافية أتسه لها كل يوم حين أقرأ عن أخبار الحرب في كوريا أو البترول في
 العراق أو تأميم المناجم في الجزائر .

وأعظم ما يزيد وجداني هو اللغة التي أكتبني معاني مختلفة من كلمات مختلفة . فإن كلمة « المروءة » مثلاً تنقلني من حدودي الفردية الذاتية إلى آفاق اجتماعية وبشرية ودينية . وعند ما أتسبح ويبدأ خرف الشيخوخة في التسلط على عقلي فإن ذلك لن يتكرر إلا عن سبيل النسيان للكلمات التي تمين لي المعاني وتزيد وجداني . أما إذا بقيت هذه الكلمات في ذاكرتي فإن هذا الطرف لن يجد سبيلاً إلي . ولذلك يجب أن نذكر أن اللغة قيسة كبرى في صحة النفس سواء من ناحيتي الكم والكيف .

□ □ □

أني أقارن بيني وبين الحيوان وقت الظلام في الخلاء . أنا أحس بل « أجد » أن دائرة نظري قد ضاقت على الأرض بسبب الظلام . ولكن وجداني بهذا الكون قد زاد أيضاً لأنني أرى نجومًا تبعد عني ملايين السنين الضوئية في فضاء لا ينتهي . هذا هو وجداني أنصى الوجدان . ولكن الحيوان يحس أن الظلام يحوطه فقط . وهو لذلك يخاف . وليس عنده غير طائفة الخوف .

وكما أن اللغة قد زادت وجداننا أو هي علة وجداننا فإن دراستنا للمعلوم قد زادت أيضاً . فنحن نقرأ الجريدة اليومية بأحاسيس تاريخية فنشأ من الحوادث وتعارف بين الأمم واليوم وبين اليوم والتعد . ونحن ندرس الطبقات مثلاً نكسب وجداننا النظرة التسلطية الفلكية أو النظرة الميكروسكوبية القلبية .

والفرنسيون يطلقون كلمة واحدة على الوجدان والضمير : « لا كونيانس » لأن الوجدان يؤدي إلى الضمير كما يؤدي إلى التحمل . وذلك لأننا مادامنا متساقطين بالمحافظة : حب وغضب وكرهة وإقبال وللة وغيره وخوف ، فإننا لن نجد أنفسنا أي لن نتفكر في تأمل وتعارف ونستنج .

□ □ □

اعتبر الدقائق التي تقعها في الاتصال الجنسي . إنها دقائق العاطفة المتأججة حين تكون في جنون وقتي ليس فيه أي تعقل . وسائر عواطفنا تجري على هذا المعنى ، وإن كانت أخف حدة وأقل جنوناً .

ونحن البشر نتفارت في درجة الوجدان. فالتعلم أكثر وجداناً من الإبي لأن السكيات والعلوم زادت وجدانه. وإينشتين أكثر وجداناً منا لأنه يتصور السكون كآلة التي لا تفعل إلا بالبحر. وقارئ الجريدة اليومية يلتظ أكثر وجداناً من القارئ الذي يقرأ المجلة المصورة.

وقد قلت إن الوجدان ميزة إنسانية. ولكنني أرى بوادره في الكلب وفي حية أنت أخرى، بوادر فقط. ونحن أتأمل الأسد في قفصه في حديقة الحيوان أعتقد أن وجدانه أو بوادر وجدانه قد ألتبت بالنفص. لأننا حرت من اختبارات الضاية والتصيد والتجارية والخطأ والتجوال والاقدام والحرب. وكل هذا كالي جديراً بأن يكسبه شيء من الوجدان

• • •

بل ماذا أقول، إني أحياناً أتأمل بعض النام فأجد أنهم ذاهلون مثل هذا الأسد في قفصه. والقفص الذي يعيشون فيه هو هذا البيت وهذا المكتب وهذا الشارع وبينها يفطمونه ذهاباً وإياباً كل يوم ولا يقرأون الجريدة. ولا يشتركون في نشاط علمي أو أدبي أو اجتماعي، ولا يخرجون الى الريف ولا يسهرون ليلة كاملة في الخلاء.

ولو كنا على وجدان تام لكنا على سعادة تامة. لأننا عندئذ نتخلص من تراث العواطف الحيوانية، وأيضاً نعرف جميع الأسباب ونقدر جميع النتائج. وهذا بالطبع محال. ولكن على قدر وجداننا يكون المقدار الذي نناله من السعادة. لأننا نتحمل عندئذ جميع الأشياء. ومن نعمتناها تماماً لا يعود للماطفة مكان.

• • •

والجنون هو فقداننا للوجدان. وهو يبدأ «نيوروزاً» أي اضطراب عاطفة معينة كالخوف أو الغضب أو الكراهة أو الحب. ثم ينتهي «بيكوز» أي اختلال المتكولوجوال الوجدان. بل إن الوجدان قد زال قبل ذلك باضطداد العاطفة أي «النيوروز» وصحة التربية هي تغليب الوجدان على العاطفة. لأن معظم أخطائنا وكوارثنا يلساً من السلوك التي يلقي على انفعاننا العاطفي بدلاً من تمكيننا الوجداني.